

**رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا دراسة منهجية**

**أ . م . د محمد عبد الرضا شنيتر**

**وزارة التربية/ تربية الرصافة الثالثة**

**The letters of Ikhwan al-Safa and Khallan al-Wafa:  
a systematic study**

□

**Dr. Mohamed Abd El-Rida Chnaitr□**

□

**Ministry of Education / Education of the third Rusafa□**

□

**Mohammed100sd@gmail.com**

ظهرت رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء في فترة مضطربة (القرن والرابع الهجري) وتركت لنا ميراثا فكريا، يتمثل في اثنين وخمسين رسالة لم يذكر مؤلفوها اسماءهم الا في كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي، ويعمل إخوان الصفاء انشاء هذه الرسائل على اعتبار ان الشريعة قد دُنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، اذ ان هذه الرسائل كتبت بأسلوب بسيط قريب من الافهام على ازدحامه بالكلمات الفنية والتعبير الفلسفية وتوخي اصحابه الوضوح والاختصار، و أسلوب الرسائل من أولها إلى آخرها يجري على نسق واحد لا اختلاف فيه، فإذا راجعنا الرسائل على اختلاف موضوعاتها، مثلا نجد أسلوب البدء والختام واحد، اما عن مصادر فلسفة إخوان الصفا فإنهم يكشفون عنها بصورة عامة، في قولهم إن علومنا مأخوذة من أربعة مصادر: ويرجع الإخوان مصادر علومهم إلى أربعة كتب: أولها المصنفة على أسننة الحكماء من الرياضيات والطبيعات، وثانيها الكتب المنزلة كالنوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من صحف الأنبياء، وثالثها الكتب الطبيعية، ورابعها الكتب الإلهية التي لا يمسه إلا المطهرون الملائكة، وهذا ما اوضحنا في ثنايا البحث. الكلمات المفتاحية/ الرسائل - اخوان - الصفا - الفلسفة .

### Extract

The letters of the Brothers of Safaa and Khalan al-Wafa appeared in a turbulent period (the century and the fourth Hijri century) and left us an intellectual legacy, represented in fifty-two letters whose authors did not mention their names except in the book of enjoyment and sociability by Abu Hayyan al-Tawhidi. Ignorances are mixed with delusions, and there is no way to wash them and purify them except through philosophy. Because it contains the wisdom of belief and the discretionary interest, as these letters were written in a simple style that is close to understanding over crowded with technical words and philosophical expressions, and the authors seek clarity and brevity, and the style of the letters from the beginning to the end takes place in a single format with no difference in it. For example, we find the method of beginning and ending one, as for the sources of the philosophy of the Brethren of Purity, they reveal it in general, in their saying that our sciences are taken from four sources: And the Qur'an and other books of the prophets, the third of which are the natural books, and the fourth of them is the divine books that only the purified angels touch, and this is what we have clarified in the folds of the research.

**Keywords / messages - brothers - safa – philosophy.**

### المقدمة

ظهرت الكثير من الدويلات والإمارات المستقلة في المشرق الاسلامي عن الخلافة العباسية للضعف والوهن الذي أصابها، الا انه لم يؤثر في الحياة العلمية والثقافية، بل انتشرت العلوم المختلفة وسطوع الكثير من العلماء في شتى العلوم في هذا القرن، وذلك بسبب زيادة الفسحة او الحرية في الكتابات وقد أثر هذا الانفتاح الفكري، وبرز مفكرون مسلمون ساعدوا إلى التوفيق بين الدين الإسلامي والفلسفة اليونانية، أشهرهم (الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) وقد تطورت هذه الجهود في البحث الفلسفي لتصبح حالة جماعية تمثلت في نشوء جماعة مستورة عُرفت باسم إخوان الصفاء وخلان الوفاء، والتي اشتهرت بتصنيفها مجموعة من الرسائل في مختلف فروع الفلسفة والعلوم الإنسانية. وقد لاقت هذه الرسائل رواجاً كبيراً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. اعتقد أن البحث عن (أخوان الصفا ورسائلهم) على رغم كثرة ما تعرض له الكتاب طيلة مئات السنين الفائتة، برغم تعدد الآراء والنتائج التي استخلصت منها - لا يزال البحث عنها غامضاً يشوبه كثير من الإبهام، ويكتنف جنباته مزيد من التشكك والارتياب سواء اكان ذلك من ناحية شخصية الإخوان أنفسهم الذين ألفوا الجماعة، أم كان من ناحية الأهداف التي عاهدوا الله على تحقيقها، ولم يصادف التاريخ ظهور جماعة كهذه الجماعة، ظل أمرها خافياً على الناس ملتبساً عليهم. وكثيراً ما قامت في الشرق والغرب جماعات سرية، دينية أو علمية أو سياسية وكثيراً ما كانت تعمل في الخفاء، لا تعلن عن نفسها، ولا تصح عن حقيقة أعضائها والسبب يعود الى اهمية تلك الحركة والخوف عليهم من بطش المخالفين لأفكارهم، ولكنها بعد وقت، طال أو قصر ظهرت على الواقع؛ لتنتشر افكارها وتعاليمها او سبل انضمام الناس اليها، فإنهم بقوا إلى اليوم موضع الشك ومثار الإبهام والجدل وموطن الدهشة والغرابة.

فان رسائل إخوان الصفا موسوعة ضخمة اشتملت على احدى وخمسون رسالة، وتضاف اليها الرسالة الجامعة وهي رسالة ملخصة وموضحة لما قبلها من الرسائل وقد قسم اخوان الصفا رسائلهم تقسيماً وظيفياً موحياً يخدم قصدهم من وضعها فقد جعلوها اربعة اقسام القسم الرياضي التعليمي ويشتمل على اربع عشرة رسالة والقسم الجسماني الطبيعي وهو سبع عشرة رسالة والقسم النفساني العقلي واشتمل على عشر رسائل والقسم الناموسي الالهي والشرعي وهو احد عشر رسالة واهتموا بمختلف العلوم المادية والروحانية معتمدين في ذلك على العقل واستعمال

المنطق والبراهين الفلسفية من اجل فهم الكون. ليس هناك شك في أن مهمة الباحث، أياً كان موضوع بحثه، مهمة شاقة، لكن لا شك أيضاً في أنه مما يضاعف من صعوبة مهمته أن يكتب أو يبحث في فكر جماعة سعوا إلى حجب هويتهم عن مجتمعاتهم ومن ثم من جاء بعدهم، ومن هنا نواجه صعوبات عدة بالغة بصدد محاولة الوصول إلى حقيقة (إخوان الصفا)، و تحديد هويتهم ورؤيتهم الفكرية والسياسية، وحتى في طريقة طرحهم للأراء كانت في بعضها منها يشويه الغموض، و قد حاولنا في بحثنا هذا التطرق بشي يسير عن فترة ظهورهم وسبب تسميتهم بإخوان الصفا وابتعدنا عن تحليل روايتها التي اوردها في ثنايا البحث؛ لان جل اهتمامنا كان منصب في البحث عن منهجهم ومواردهم في كتابة هذه الرسائل، على الرغم أن الموضوع قد تناوله الكثير من الباحثين إلا أن المنهجية العلمية في كتابة البحث يتطلب في البحث عن نشاتهم وقد اوجزنا الحديث تجنباً لتكرار ما كتبه من سبقنا من الباحثين، وتضمنت الدراسة مقدمة وخاتمة ومبحثين فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع، تضمن المبحث الاول (نبذة تعريفية عن كنييتهم ومذهبهم ورسائلهم)، منها معرفة كنييتهم ومنها التعريف بزمان ظهورهم ثم اسماء اخوان الصفا وبعدها الحديث عن مذهبهم و عدد الرسائل واسلوبهم، ثم جاء المبحث الثاني تحت عنوان ( منهج وموارد رسائل اخوان الصفا ) لدراسة منهجهم ومواردهم على كل حال - لا تخلو من الصعوبات والمشقة، آمليين حسن القبول والله ولي التوفيق.

### المبحث الأول نبذة تعريفية عن زمن ظهورهم وكنييتهم ومذهبهم ورسائلهم

زمن ظهور شخصياتهم:-

هناك آراء متضاربة حول تاريخ ظهور إخوان الصفا، فهناك مواقف مختلفة لعدد من الباحثين، يرى أن ظهورهم كان في منتصف القرن الرابع الهجري (حجاب ، ١٩٨٢ ، ص ٤٤)، ولعل منشأ هذا الخلاف يعود إلى شحة الأخبار عن إخوان الصفاء، فرغم خطورة رسائلهم المتضمنة لعلوم شتى، وثقافة واسعة، وتبسيط لمعضلات الفلسفة (الدسوق ، ١٩٤٧ ، ص ٤)، فلا نملك وثائق تؤكد وجودهم وهويتهم إلا رسائلهم فقد تتباين الفترة ما بين ظهور الرسائل ونشاط اخوان الصفا، لذلك نجد ان الآراء متباينة في هذا الصدد، فالقاضي اعتمد في تحديد فترة ظهورهم استنادا الى اشخاص جماعتهم، معتمدا زمن الحوار الذي دار بين ابن سعدان<sup>(١)</sup> وابي حيان سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) أي بعد تولي ابن سعدان الوزارة للأمير البويهبي صمصام الدولة<sup>(٢)</sup>، وكان زيد<sup>(٣)</sup> بن رفاعة آنذاك حيا ويبدو ان ابا حيان كان اصغر سنا من زيد ، فكان ينسخ له الكتب ويحضر مجلسه واستمرت علاقته به وتوطدت، وكان مولد ابو حيان سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، اما زيد بن رفاعة فولد في اواخر العقد العاشر من القرن الثالث او مستهل القرن الرابع الهجري، وذهب الى البصرة واقام فيها وظهر تمكنه العلمي " ... وصادف بها جماعة لأصناف العلم" (القاضي ١٩٠٨ ، ص ٥٩؛ ابن العبري، ١٩٩٤ ، ص ٣٠٨-٣٠٩). ذكر الصفي ان الرسائل كان بعض علماء الفاطميين في مصر يضعها فيجدها العامة لمقاة رسالة بعد اخرى في جامع عمرو بن العاص وهي فلسفة العوام حسب رأيه (الصفي ، ٢٠٠٠ ، ج ١٥، ص ٢٠)، ان ظهور جماعة اخوان الصفا هو في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ثم بدأ التأليف في مواضيع الكتاب بشكل رسائل واستغرق ذلك عدة سنوات (فؤاد، ١٩٨٨ ، ص ٦٤) ونجد رأي اخر يتجه ويوضح ظهور اخوان الصفا بعد وفاة الفارابي (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، وهذا الرأي يقول: " لم يكد يمضي على موت الفارابي ثلاثون سنة حتى هب جماعة من صفوة علماء العصر وخاصة حكمائه الذين احاطوا بنظريات الاقدمين من فلاسفة الاغريق والهند وپارس وقتلوا بحثا وتمحيصا وهضموا براهينها واعتراضاتها... وقد اطلقوا على انفسهم اخوان الصفا وخلان الوفا" ( غلاب، ١٩٦٨، ص ٧-٨) ، ويبدو هذا الرواية الانفة الذكر تعطي دلالة واضحة على ظهور اخوان الصفا كان في النصف الثاني من القرن الرابع . وهناك من يرى ان فترة ظهور اخوان الصفا ترجع الى القرن الثالث الهجري ومن ثم رسائلهم (حجاب، ١٩٨٢ ، ص ٤٦) ويبدو ان هذا الترجيح امر منطقي وطبيعي من ظهور جماعة اخوان الصفا على مراحل على اساس ان هذه الجماعة شأنها شان أي دعوة اجتماعية او سياسية وسرية بصفة خاصة كانت تعمل على التطور والانتشار خفية، متوائمة في ذلك مع ظروف كل مرحلة من المراحل. واما الباحث عادل العوا فقد اعتمد في تحديد زمن ظهور اخوان الصفا على نصوص الرسائل الموجودة في طبعة القاهرة وقارنها مع بعض المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس، وكذلك تحري صحة ابيات الشعر العربي الموجودة في زمنهم والتي لم يطالها التحقيق بعد، وحدث المقاطع الشعرية التي حدد العوا اسماء قائلها قصيدة انشدها الشاعر الشهير (المتنبي) امام كافور الاخشيدي ( ٢٩٢هـ-٣٥٧هـ/ ٩٠٥م-٩٦٨م) صاحب مصر في شهر شوال سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) يقول مطلعها :-وفي الجسم نفس لا تشيب بشيية ولوان ما في الوجه منه حراب(العوا ، ١٩٩٣، ص ٦١) فهذا التاريخ يضاف اليه عدد من السنوات التي يفرض انها تكفي لانتشار القصيدة المذكورة وذيوها الى ان بلغت معرفة اخوان الصفا بها ، يمكن عده بصورة مقبولة زمنا لتحديد تاريخ تأليف الرسائل (الرسائل ، ١٩٧٥ ،

ج ٤٨، ص ٤٨). ونستنتج من ذلك بان الاختلاف في تحديد ظهور جماعة اخوان الصفا، سواء اقترن ظهورها الحقيقي بظهور رسائلها او اقتصر على مدة ظهور اصحابها كأشخاص، فان القرن الرابع الهجري هو التاريخ المتعارف عليه والاكثر شيوعا وقبولاً عند الباحثين .  
كثيتم:-

هناك اختلاف كبير في سبب معنى تسميتهم " اخوان الصفاء وخلان الوفاء" فمن القائل بأن التسمية تعود الى الشعر الجاهلي وما بعده، وهناك من يذكر أن هذه الجماعة أخذت اسم إخوان الصفاء عن قصة الحمامة المطوقة في كتاب كليلة ودمنة، ( فرحات ، ١٩٨٦ ، ص ٦٨)، وهناك رأي اخر ورد ان سبب هذه التسمية هو ما كان بينهم من اتحاد وامتزاج واتفاق في الغرض (الدسوقي، ١٩٤٧، ص ٤٢)، ولذا اطلق اخوان الصفا على انفسهم هذه الكنية ، واطهروا امام الناس اوفياء ومخلصين ويصفون انفسهم بصفات اربع ترغيباً لغيرهم ( اخوان الصفا وخلان الوفاء واهل العدل، وابتداء الحمد (الرسائل ، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢١)، وبما ان جماعة اخوان الصفا هم من الفلاسفة المتكلمين المسلمين فقد اقتبسوا معاني ودلالات الاخوة من القرآن الكريم ( انما المؤمنون اخوة) ( سورة الحجرات، الآية ١٠) واستعمل مصطلح الاخوة في الدين الاسلامي للتعبير عن الود والمحبة والالفة . لذلك نجد ان تسمية اخوان الصفا تعني (الاخوة) و (الاخ) لذلك نراه في الرسائل يبدون الكلام بالقول ( ايها الاخ البار الرحيم) وقد كانت الفاظ ( يا اخي) و ( ايها الاخ) وما شابهها شائعة في كتب ومصنفات وموسوعات علم الكلام والصوفية (حجاب، ١٩٨٢، ص ٢٣)، ولذلك نجد من الانسب ربما ان نعود الى رسائلهم ، لنستشف من خلالها معنى (الاخوة) في نظرهم وكيف يكون الصفا اذ اعتمدوا على جعل الاخوة جزء من الصفا والنقاء بقولهم : " علم ايها الاخ البار الرحيم ايدك الله وايانا بروح منه انا نحن جماعة اخوان الصفا اصفياء واصدقاء كرام" ( الرسائل، ١٩٧٥ ج ١، ص ١٨) ربط اخوان الصفا بين صفاء النفس والطمأنينة بقولهم : " يا اخي ايدك الله تعالى انه لا سبيل الى صفاء النفس الا بعد بلوغها الى حد الطمأنينة في الدين والدنيا جميعا ... " ( الرسائل، ١٩٧٥ ج ٤، ص ٤١١) " واعلم ، يا اخي ان حقيقة الصفا هي ان لا يغيب عن النفس الصافية الزكية شيء من الاشياء التي بها الحاجة اليها " (الرسائل ، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٤١٢)، لم يكن اخوان الصفا بعيدين عن توضيح معنى الاصدقاء وحددوا الضوابط لاختيارهم ومصاحبتهم بقولهم : " وينبغي لإخواننا ايدهم الله حيث كانوا في البلاد اذا اراد احدهم ان يتخذ صديقاً مجدداً او اخاً مستأنفاً ان يعتبر احواله ويتعرف اخباره ويجرب اخلاقه ويساله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصدقة وصفاء المودة وحقيقة الاخوة او لا ... " ( الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٤٣) وكدوا ايضا على ان اساس الاخوة والصدقة هو النقد بقولهم ان الاخ الحقيقي الذي ينصحون به : " فينبغي لك اذا اردت ان تتخذ صديقاً او اخاً، ان تنتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير، والارضين الطيبة للزرع والغرس، وكما ينتقد ابناء الدنيا امر الترويج وشرى الممالك والامتعة التي يشترونها جميعاً " ( الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٤٤)، جعل اخوان الصفا الاصدقاء الخالص بمنزلة الاعوان: " واعلم ان الخطب في اتخاذ الاخوان اجلٌ واعظم خطراً من هذه كلها، لان اخوان الصدق هم الاعوان على امور الدين والدنيا جميعاً " ( الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٤٤-٤٥)، كما ان تأكيد اخوان الصفا على الزهد بالجسد وبالماديات، وتأكيدهم النفس وصفائها وجورها، وجعل من بعض الباحثين القول بان تسميتهم ( اخوان الصفا) جاءت مقتبسة من التصوف الذي غايته صفاء النفس ونقاء القلب ( طاهر، ٢٠٠٢، ص ٢٩) .

اسماء هم

اختلف المؤرخون في اسماء من صنعوا هذه الرسائل، ولعل هذا الاختلاف يعود الى السرية التامة التي احاط به اخوان الصفا انفسهم في تطوير نظام حركتهم، وهو اسلوب لإخفاء اخبارهم وعدم الاهتداء اليهم، واطهار اسماءهم كان كافياً لسحقهم واحباط عملهم من قبل بعض رجال دين السلطة ان يؤلبوا العامة عليهم بحجة الالحاد او الزندقة ( غلاب ، ١٩٦٨، ص ٧). ان اقدم مصدر تاريخي معاصر لإخوان الصفا هو صوان الحكمة لابي سليمان<sup>٤</sup> محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني (٣٩١هـ/١٠٠٠م) الذي يؤكد ان مؤلف الرسائل هو ابو سليمان<sup>(٥)</sup> المقدسي قاتلاً : " ابو سليمان المقدسي : له الرسائل الاحدى والخمسون المسماة رسائل اخوان الصفا وكلها مشحونة بالأخلاق وعلم الالحان، وهي موجودة فيما بين الناس قد تداولتها الايدي " ( السجستاني، ١٩٧٤، ص ٣٦١-٣٦٤) بيد ان من امدنا بالمعلومات الاكثر عن مؤلفي رسائل اخوان الصفا هو تلميذ ابي سليمان ابو حيان التوحيدي الذي افرد لهم ليلة طويلة هي السابعة عشرة من ليالي الامتاع والمؤانسة، حيث سأله الوزير ابن العارض عن زيد بن رفاعه، ونورد هذا النص كلام ابي حيان التوحيدي(٤١٤هـ/١٠٢٣م) في جوابه الى ابن سعدان وزير صمصام الدولة في حدود سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م) قال ابو حيان حاكياً عن الوزير المذكور حين طلب من الحديث عن رفيقه واحد مؤلفي هذه الرسائل قاتلاً : " حدثني عن شيء هو اهم من هذا الذي خطر على بالي اني لا ازال اسمع<sup>(٦)</sup> من زيد بن رفاعه قولاً ومذهباً لا عهد لي به، وكناية عما لا أحقه وإشارة إلى ما لا يتوضح شيء منه، فما حديثه؟ وما شأنه؟ وما دخلته ... فيجيب أبو حيان التوحيدي: " أيها الوزير

هو الذي تعرفه قبلي قديما وحديثا بالتربية والاختيار والاستخدام، وله منك الإخوة القديمة، والنسبة المعروفة، قال: دع هذا، وصفه لي، قلت: هناك نكاه غالب، وذهن وقاد، ويقظة حاضرة وسوانح متاحرة، ومتسع في فنون النظم والنثر، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وسماع للمقالات، وتبصر في الآراء والديانات، وتصرف في كل فن، إما بالشدو الموهوم، وإما بالتبصر المفهم، وإما بالتناهي المفهم، فقال: فعلى هذا ما مذهبه؟ قلت: لا ينسب إلى شيء، ولا يعرف برهط، لجيشانه بكل شيءٍ وغلبانه في كل باب، ولاختلاف ما يبدو من بسطة تبيان، وسطوة لسانه. وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي، ويعرف بالمقدسي، و أبو الحسن<sup>(٧)</sup> علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد<sup>(٨)</sup> المهرجاني، والعوقي<sup>(٩)</sup> وغيرهم... ( التوحيد، ب، ت، ج، ٢، ص ٣)، كما وصل عنهم أنهم أشخاص عديدون، من مختلف الفئات والطبقات، دون تحديد أسماء لهم، فيقولون في الرسالة الثامنة والأربعين: " إن لنا إخواناً وأصدقاء من كل كرام الناس، وفضلائهم، متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتّاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين والتجار، ومنهم طائفة من أولاد العلماء، والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس...". (الرسائل، ١٩٧٥، ج، ٤، ص ١٦٥). ومن خلال استقراء النص التاريخي الانف الذكر نستطيع ان نقول ان جماعة اخوان الصفا هم مجموعة من اهل الفكر تعاهدت على تأليف هذه الرسائل وبالرغم من عدم ذكرهم ومجهولية هويتهم وعدم ذكر اسمائهم في الرسائل الا اننا يمكن ان نعتمد على رواية التوحيد .

### مذهبهم

ثمة رأيان يدور حولهما الخلاف في تحديد العقيدة الدينية التي ينتمي اليها اخوان الصفا: يرى الرأي الاول انهم جماعة تنويرية فلسفية ضمت المتقنين والمستتيرين من كل المذاهب، ويتبنى الدكتور محمود اسماعيل هذا الرأي: " لم تكن حركة مذهبية بل فكرية تستهدف تحقيق التنوير لإنكاء الوعي السياسي عن طريق المعرفة لذلك انضم اليها المستتيرين من سائر المذاهب والفرق، كذا من رجال الدولة وكبار التجار والفقهاء والعلماء وارباب الاموال الذين راعهم التدهور السياسي والاقتصادي والفكري خلال القرن الاول من العصر العباسي الثاني " ( اسماعيل ، ١٩٩٦ - ص ١٩)، اما الرأي الثاني فينقسم بدوره الي اتجاهات عدة :-

**الاتجاه الاول (المعتزلة):** فهناك اتجاه يرى ان الاخوان حركة معتزلية، وان متكلمي المعتزلة هم الذين كتبوا رسائلهم، وهو استنتاج خاطئ منها تبني اخوان الصفاء لعدة آراء تختلف جذريا مع الاسس التي قامت عليها مدرسة الاعتزال، ولعل اهم هذه الاختلافات، رفضهم لعقيدة خلق القرآن التي نادي بها المعتزلة: "... فمن ذلك قول القائلين بخلق القرآن، فان هذا الحكم مبني على ان الكلام انما هو حروف واصوات يحدثها المتكلم في الهواء، فعلى هذا الاصل يجب ان يكون القرآن مخلوقا. واما على اصل من يرى ان الحروف والاصوات انما هي سمات وآلات، والكلام انما هو تلك المعاني في افكار النفوس، فعلى هذا الاصل يجب ان لا يكون القرآن مخلوقا، لان الله تعالى لم يزل عالما بتلك المعاني التي هي في علمه، وتلك المعاني لم تزل معلومة له ... " ( الرسائل ، ١٩٧٥ ، ج ٣ ، ص ٥١٧)، كما رفضوا آراء المعتزلة في موضوع الجبر والاختيار، وتبنوا رأيا وسطيا: " ثم اعلم ان ليس احد من المخلوقين بقادر على شيء من الاشياء ولا عمل من الاعمال الا ما قدره الله تعالى عليه وقواه ويسره له. واعلم ان اقدار الله القادرين، وتقويته الاقوياء، وتيسير الامور ليس بمجبر لاحد منهم على فعل من الافعال ولا على عمل من الاعمال ولا تركه " (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٣، ص ٤٩٨).

**الاتجاه الثاني ( الشيعة الامامية):** يرى ان اخوان الصفاء جماعة شيعية، الا انه وجدت عدة اختلافات حول المذهب الشيعي الذي ينتمي اليه الاخوان، حيث يرى البعض انها جماعة الامامية، الا ان الانتقادات التي وجهها الاخوان للشيعة الامامية في رسائلهم سواء في العقائد او في الممارسات تضعف تماما من صحة هذا الرأي، فقد انتقد الاخوان عقيدة غيبة الامام المهدي، ووصفهم بالسلبية والتكسب من التشيع: " ومن الناس طائفة قد جعلت من التشيع مكسبا لها، مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع الا التبري، والشتم، والطعن، واللعنة، والبكاء مع النائحة، وحب المتدينين بالتشيع... وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور، كالنساء الثواكل، ويكون على فقدان اجسادنا وهم بالبكاء علي انفسهم اولي. ومن الشيعة من يقول ان الائمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء، ولا يدرون ما يقرون به وصحة ما يعتقدونه. ومنهم من يقول ان الامام المنتظر مختفي من خوف المخالفين، كلا بل هو ظاهر بين ظهرانهم يعرفهم وهم له منكرون " (الرسائل ، ١٩٧٥، ج ٤، ص ١٤٨)، يقولون حول عقيدة الغيبة، في مناقشتهم للاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها: "... وهكذا ايضا حكم من يري ويعتقد ان الامام الفاضل المنتظر الهادي مختفي لا يظهر من خوف المخالفين. واعلم ان صاحب هذا الرأي يبقي، طول عمره، منتظرا لخروج امامه، متمنيا لمجيئه، مستعجلا لظهوره" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٣، ص ٥٢٣).

**الاتجاه الثالث ( الزيدية ) :-** ثمة رأي آخر يؤكد على انتماء الاخوان الي الشيعة الزيدية، وهو رأي تضعفه طبيعة المذهب الزيدي الذي يرفض العمل السري ويلجا الي الثورة العلنية، بل ان احد شروط الامامة لدي الزيدية هي الخروج والدعوة العلنية، وترى الزيدية ان الدعوة لإمام مستور نوع من التضليل (النوبختي ، ١٩٩٢، ص ٧٠)، مما جعل الزيدية اكثر الفرق الشيعية اثارا للانتفاضات والثورات، والاقبل تأثيرا على الساحة السياسية في ذات الوقت حيث استطاع العباسيون القضاء علي معظم هذه الانتفاضات وتحجيم تأثيرها .

**الاتجاه الرابع (الاسماعيلية):-** ان اغلب الباحثين من العرب والمستشرقين يرون بان هنالك صلة وثيقة وعلاقة متينة ومرتبطة بين اخوان الصفا والاسماعيلية والاعراب من الباحثين ينسبون اخوان الصفا الي الاسماعيلية مؤكدين انتماءهم اليهم، ولكن تحديدها لا يزال الي اليوم صعبا ( العوا، ١٩٩٣، ص ٩١)، ومن بين هذه الاقوال التي تؤكد انهم اسماعيلية وهذا ما ذكر الباحث العوا اذ قال: " ان تنظيم اخوان الصفا اسماعيلي قح" ( العوا، ١٩٩٣، ص ٩١) . نجد تأييد اخر يؤكد انتماءهم للإسماعيلية وهو يدعم الرأي السابق ، وهذا الرأي مفاده ان ازدهار الحياة الثقافية في القرن الرابع الهجري ساعد على ان تظهر في الاسماعيلية جمعية باسم اخوان الصفا ذات نزعة فلسفية، وتتشا رسائل تجمع فيها عصارة التيارات الفلسفية الشائعة وتجعل في باطنها حقائقها الفكرية وتقدم خطة ثقافية وخطة حياة سياسية في تكتم يجعل تعاليمها وسياستها في مأمن من رقابة الحكام ( الفاخوري ، ١٩٩٣، ج ١، ص ٢٢٤) ، ويبدو هذا التشابه الكبير بين اخوان الصفا والاسماعيلية يكمن في المنهج بين كل من الدعاة الاسماعيلية وانصار اخوان الصفا، وكذلك وجود نوع من العلاقة السرية بين المؤسستين ( اقبال ، ١٩٨٩، ص ٥٤) كما تحتوي رسائل اخوان الصفا على الكثير من الافكار العقائدية حول علم الكلام والسياسة والاخلاق وفي شتى المجالات المختلفة الاخرى وهي على شكل دروس حركية كانت تلقى في الحلقات الخاصة لكبار دعة الاسماعيلية في البلاد الاسلامية كما ان المغول عندما استولوا على قلعة (الموت) وجدوا فيها رسائل اخوان الصفا (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ١٠-١١)، كما نجد ان الرسائل تمثل عرض شامل للمذهب الاسماعيلي واخوان الصفا كانوا جماعة فكرية ذات نزعة اسماعيلية خاصة (العوا، ١٩٩٣، ص ٩١-٩٢). وان الاسماعيلية هي التي اخذت نهج اخوان الصفا في منهجهم وتنظيمهم وليس العكس ، حيث ان آراء الاسماعيلية كلها موجودة في رسائل اخوان الصفا، وان الاسماعيلية تلقوا تعاليم اخوان الصفا وزادوا فيها وطبقوا بعض نظرياتهم على الامور الدينية والعسكرية (غالب، ١٩٨٩ ص ٤٢٢؛ الطيباوي، ١٩٩١، ص ٧٢)، لذلك يمكن القول ان اغلب الباحثين ينسبون اخوان الصفا الي الاسماعيلية ويثبتون مدى الصلة المتينة بينهما في الفكر والمنهج حيث يزيد مؤيدوا هذا الاتجاه القائل باتصالهم بالإسماعيلية (مذكور، ١٩٦٨، ص ١٠٨) . ولكن من المهم القول ان هذا الاثبات ليس قطعيا وتعوزه الكثير من الدلائل وذلك لاقتصار الباحثين على الربط بين اوجه التشابه ولكن في نفس الوقت اغفلوا عن ذكر الاختلافات بين الجماعتين وهي كثيرة سواء في الجانب العقائدي او المنهجي وعلى الرغم من الآراء التي طرحها الباحثين والتي تبين مدى صلة انتماء اخوان الصفا للإسماعيلية نجد اراء متناقضة تبين عدم وجود علاقة انتساب بينهما، رغم اخذ الاسماعيلية ببعض اراء اخوان الصفا وان هذا التشابه والتطابق والتأثر لا يعد دليلا على انتماء الاخوان اليهم ومن هذه الآراء نجد رأي للسواح قائلا: " اننا لا نجد لإخوان الصفا ورسائلهم ذكرا لدى المفكرين الاسماعيليين ابان عصر نهضة الفكر الاسماعيلي في القرنين الرابع والخامس الهجري من امثال القاضي النعمان والكرماني، والنسفي، والرازي، والسجستاني، ولو كانت الرسائل تشكل المصدر الاكبر لفكر الاسماعيلي لاعتمد عليها هؤلاء المفكرون صراحة واشادوا بها (السواح، ٢٠٠٨، ص ٢٣٣-٢٣٤) . وبالرغم من هذه الآراء الكثيرة التي اشار اليها الباحثين حول صلة اخوان الصفا بالإسماعيلية وتأكيدها ذلك الا انه يبدو لي من خلال اطلاعي على رسائلهم ان هناك حقيقة اشاروا اليها عند حديثهم عن الاسماعيلية فانهم ينكرون هذه الفرقة والتي يسمونها المسبعة<sup>(١)</sup> اذ ذكر اخوان الصفا ما نصه: " وقد توغلت المسبعة في الكشف عن الأشياء السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها وأغفلوا ما سوى ذلك من المعهودات" ( الرسائل، ١٩٧٥، ج ٣، ص ١٨٠) وفي رواية اخرى يذكرون: " لتعلم أن المسبعة الذين قد شغفوا بذكر المسبعات وتفضيلها على غيرها إنما كان نظرهم جزئياً وكلامهم غير كلي ... " ( الرسائل ، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢١٧) وأشار اخوان الصفا الى براءتهم من هذا المذهب وهو الاسماعيلي بقولهم: " ... ليس هذا مذهب إخواننا الكرام أيدهم الله وإيانا بروح منه ... " (الرسائل ، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢١٧) .

**الاتجاه الخامس (القرامطة) :-** هنالك اسباب عدة ادت الى الاعتقاد بانتماء اخوان الصفا الي القرامطة منها نشوء وتواجد كل اخوان الصفا والقرامطة في البصرة ويرى انه ليس ببعيد ان يكون اخوان الصفا قد تأثروا بهم كونهم نشأوا في مدينة واحدة ، ولكن لا يوجد سببا مقنعا لان البصرة كانت موطننا لكثير من الجماعات الاخرى كالمعتزلة وغيرها، كما يوجد تشابه واضح بين غاية واهداف القرامطة واخوان الصفا فان كلا منها جماعة سرية ، وعلى الرغم من ذلك يستبعد هذا الانتماء لان اخوان الصفا جماعة كانت تنشر آراؤها واهدافها بطريقة سلمية وتعليمية

على عكس القرامطة تماما والذين لجوا الى القوة والسيف (البعلي ، ١٩٥٨ ، ص ٥٠) .وعلى الرغم من ان هذه الآراء طرحت في بيان انتماء اخوان الصفا الى القرامطة، الا اننا نجد في المقابل اراء تعارض هذه الصلة او الانتماء مؤكدة ان هنالك علاقة تأثر وتأثير واشتراك وتشابه بين اخوان الصفا والقرامطة ولكنها لا ترتقي الى مستوى الانتماء ، وهذا الرأي المعارض الذي ينكر الصلة بين اخوان الصفا والقرامطة ويبين بان هناك فوارق يختلف فيها اخوان الصفا عن القرامطة منها الشيء الوحيد المطلوب للانتماء الى التنظيم القرامطي هو الطاعة العمياء لرئيس الحركة او التنظيم فان اختيار عضو جماعة الاخوان على العكس مهمة شاقة وخطرة ودقيقة (العوا ، ١٩٩٣ ، ص ٧٩) .وهكذا يتضح أن إخوان الصفا يؤكدون على أنهم لا يتعصبون لمذهب من المذاهب ولا يعادون علماء من العلوم ، بل إن من أهم الواجبات على المسلم طلب العلم الذي هو فريضة من الفرائض التي ينبغي أن يقوم بها (الرسائل ، ١٩٧٥ ج ١ ص ١٤٧) إذ يرى إخوان الصفا أنه ليس ما يمنع البتة من أخذ الحقيقة من هذا أو من ذلك رغم ما قد يختلف عليه الآخر وان في بعض الافكار، لذلك ذهبوا في جمعهم للعناصر الدينية والفلسفية من مصادر مختلفة: كالمعتزلة والشيعة، ومن التوراة والانجيل، والفلسفة اليونانية، فيقول إخوان الصفا " وبالجملة ، ينبغي لإخواننا ايدهم الله تعالى، ألا يعادوا علماء من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا لمذهب على مذهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعاً. (الرسائل، ١٩٧٥ ج ٤ ، ص ٤١)، بل يرون أن الحقيقة في كل دين موجودة أو جانب منها " فاعلم أن الحق في كل دين موجود وعلى كل لسان جارٍ وأن الشبهة دخولها على كل انسان جائز ممكن ، فاجتهدوا يا أخي أن تبين الحق لكل صاحب دين ومذهب مما هو في يده ، أو مما هو متمسك به .... (الرسائل، ١٩٧٥ ، ج ٣ ص ٤٤٦)، بل نجدهم يشرعون لهذه الفكرة ويقررونها " ثم اعلم أن الأنبياء، عليهم السلام، لم يختلفوا فيما يعتقدون من الدين سرا وعلانية .... وأما الشرائع التي هي أوامر واحكام وسنن فهم فيها مختلفون (الرسائل، ١٩٧٥ ج ٣ ، ص ٤٨٦) ". اذاً نحن أمام جماعة تؤمن بفكرة المذهب العالمي بل جماعة تُؤسس لإسلام كوني فجمعهم بين عناصر دينية من مذاهب مختلفة ينم عن انهم كانوا يميلون إلى المذهب العالمي وهو النظر إلى كل الآراء الدينية الإنسانية بمقياس واحد، وغايتهم من ذلك كله على حد زعمهم فهم الشرط الإنساني والعمل بما يوجبه هذا الفهم من أجل حياة عقلية فلسفية ونفسية وروحية متوازنة في هذا العالم، ويُعد الإنسان إلى الخلود الروحي. فقد كان مذهبهم تدويب جميع تلك الخلافات، والصراعات والنزاعات الاجتماعية والدينية في مذهب واحد شامل مبني على أساس متين ومبادئ مستوحاة من الأديان كافة، والمذاهب والنحل ( البهي، ١٩٨٩ ، ص ٢٢١) .

#### وصف مؤلفين رسائل اخوان الصفا واجرائها

اردت ان ابين من هذا العنوان هل ان الرسائل كتبت من قبل شخص واحد ام من قبل مجموعة من المؤلفين، ما دام اخوان الصفا كتبوا اسمائهم فلا سبيل الى البحث عن الف الرسائل ولكن النقد الداخلي يدل على ان رسائلهم ليست وحدة تأليفية لا من حيث الزمن ولا من حيث الاشخاص فالرسائل لم تظهر مرة واحدة مجموعة، بل كانت تكتب رسائل مفردة وتوزع على ان المؤلف على ما اعتقد ليس واحدا بل كان هنالك جماعة يشتغلون في التأليف ولكن على اساس واحد، اما موانع القول بالمؤلف الواحد فهي :-

أ - الاحاطة بكثير من العلوم وبتدقيقها من السهل على انسان واحد ان يكتب في موضوعات مختلفة، ولكن من الصعب عليه ان يثبت التفاصيل الدقيقة وخصوصا اذا كانت تلك الموضوعات متافرة كالجغرافية والموسيقى والالهيات والسحر والمنطق وعلم الحيوان، ثم اننا لو قبلنا ان يكون الجماعة قد استعانوا بالكتب المؤلفة في هذه الموضوعات لاستحال ايضا ان يكون الكاتب واحدا، فان النقل من هذه الكتب يحتاج ايضا الى انواع من البراعة يصعب ان توجد في انسان واحد .

ب- صيغة المتكلم يتكلم مؤلفو رسائل اخوان الصفا بصيغة جماعة المتكلمين نحو : " اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروحٍ منه أننا قد فرغنا من الرسائل الرياضية بجملتها حسب ما وعدنا في صدر الكتاب... " (الرسائل، ١٩٧٥ ، ج ٢، ص ٥)، من خلال هذا الكلام اعلاه يتبين ان المجموعة في رسائل اخوان الصفا إنما هي مجموعة اجماعي لا مجهود فردي . وايضا كلام الخوارزمي فيصفهم من طبقة الحكماء بقوله : " صنعها جماعة من الحكماء " (الخوارزمي ، ١٩٨٦ ، ص ١٦٨١) وهذا دليل اخر يضاف الى ما ذكره انفا بان الرسائل كتبت من قبل مجموعة من الحكماء، ويعلق الباحث الخطيب على كلام الخوارزمي قائلاً ما نصه : " فانه مما لا جدال فيه ان رسائل اخوان الصفا ليست من تأليف شخص واحد بل من تأليف جماعة متعددة، تتباين معارفهم واساليبهم، وهذا واضح جدا في رسائلهم ... " (الخطيب ، ١٩٨٤ ، ص ١٦٩)، وخلاصة ما توصلنا اليه بان هناك اجماع ان هذه الرسالة يعود تأليفها الى مجموعة مؤلفين وليس الى شخص واحد . يذكر اخوان الصفا في الجزء الاول من رسائلهم ان عدد هذه الرسائل اثنتان وخمسون رسالة (رسائل ، ١٩٧٥ ج ١، ص ٢٨٣) اما في الاجزاء الثلاثة الباقية فيذكرون ان الرسائل واحدة وخمسون رسالة : " ... وأما كيفية الخروج من الجهالات المتركمة فقد بيناها في إحدى وخمسين رسالة عملناها في

فنون العلوم وغرائب الحكم وطرائف الآداب... (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٦١)، او قولهم: "... وقد أخبرنا عن مذهبهم وعرفنا كم أخلاقهم وبيننا آرائهم وأوضحنا أسرارهم في إحدى وخمسين رسالة علمناها في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٦٤)، وهناك غير هذه الرسائل الإحدى والخمسين ( فهرست رسائل اخوان الصفا) نحو قولهم: " هذه فهرست رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد بجمل معانيها وماهية أغراضهم فيها وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني عن كلام الخالصاء الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٢)، وفيه تعداد الرسائل وإشارة الى ما تتضمن كل واحدة منها على غاية من الوجازة. الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا، فعلى الرغم من هذا التقسيم المنهج للرسائل وتوزيعه على أربعة أقسام لكل قسم منها موضوعه الخاص، ويكل رسالة فيه موضوعها أيضا، إلا أن الإخوان لم يتقيدوا بهذا التقسيم، فهم غالبا ما يبيئون آراء لا علاقة لها بهذا القسم الخاص، فالخلط قائم، ولعلك تذهب إلى قسم بعينه، فلا تجده وإنما تجده في قسم مخالف، وهكذا ( السواح، ٢٠٠٨، ص، ٢٤)، وقد كتب إخوان الصفاء رسائلهم بالعربية رغم أن بعض كتابها من فارس، لأن العربية أطوع في الصياغة، وأكثر مرونة في الاشتقاق (أمين، ١٩٦٢، ج، ١، ص، ٣٧٩)، وجاءت ألفاظ مبهمة وغامضة (عادل العوا، ١٩٩٣، ص، ٤٤) في هذه الرسائل المثيرة، اسماء فالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والبعث، ويوم القيامة، ومحمد، وعلي وغير ذلك من الاسماء (أمين، ١٩٦٢، ج، ١، ص، ٣٧٩).

### الرسالة اثنتان وخمسون ( الرسائل الجامعة):

يشير إخوان الصفاء في مواطن كثيرة من رسائلهم إلى رسالة أخرى غير تلك الرسائل، يسمونها: " الرسالة الجامعة" ويصفونها بأنها جامعة: " وتليها الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها، المشتملة على حقائقها بأسرها فيكون مجموع الرسائل اثنتين وخمسين رسالة ورسالة، إذا أضفنا إليها الرسالة الجامعة . ويذكرونها في الفهرست فيقولون والغرض منها إيضاح حقائق ما أشرنا إليه ونبهنا في هذه الرسائل عليه، أشد الإيضاح والبيان، يأتي على ما فيها فيبين حقائقها ومعانيها ملخصة مستوفاة، مهذبة مستقصاة ببراهين هندسية يقينية، ودلائل فلسفية حقيقية، وبيئات علمية، وحجج عقلية، وقضايا منطقية، وشواهد قياسية، وطرق إقناعية، لا يقف على كنهها ولا يحيط بحقائقها، ولا يحصلها ولا شيئا منها إلا من ارتاض بما قدّمنا وحنق وعرف وتدرّب فيها وتمهر أو بما يشاكله، إذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمداخل إليها والأدلة عليها والأنموذج منها، لا يفتح غلق معتاصها، ولا ينكشف مستور غامضها إلا لمن تهذب بهذه الرسائل الاثنتين والخمسين أو بما شاكلها من الكتب . والرسالة الجامعة من رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدّمناه، وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ١٢). وبناء على هذا النص الواضح الخطوط، فإن منهج إخوان الصفاء في الرسالة الجامعة يختلف عن منهجهم في بقية الرسائل، فالرسالة الجامعة ألفت لمن تتقفوا بالرسائل أو بكتب مماثلة، أي أخذوا قسطا وافرا من تلك المعارف السائدة في عصرهم وارتفعوا إلى مرتبة أعلى من المرتبة الأولى التي خاطبت الرسائل أصحابها. لذلك فالرسالة الجامعة تعتمد على البراهين والحجج العقلية في تناولها القضايا المطروحة للبحث. ويظهر ان السبب تأليف هذه الرسالة الجامعة كان مزدوجا: " اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه أنا قد جعلنا في كل رسالة من رسائلنا فضلا جعلناه من لبها وخالصها إذا وفق له من فهمه وعمل به نال السعادة في الدنيا والآخرة وقد لخصنا ما أوردناه في رسائلنا الإحدى والخمسين في رسالة مفردة عن الرسائل سمينها " الجامعة " وهي خارجة من جملة الرسائل أوردنا فيها بيان ما أخبرناه في غيرها بأخص ما أمكننا منه فليس تكاد تجتمع رسائلنا كلها عند رجل واحد إلا من سهل الله تعالى له ذلك فلمننا تلك الرسالة لتتوب عن أخواتها غير أن الأصوب والأجود عندنا أن لا نقرأ الرسالة الجامعة إلا بعد قراءة رسائلنا الإحدى والخمسين . فإنه إذا قرأها بعد قراءة هذه كثر نفعه وانفتح عليه ما انغلق من رسائلنا وإن وجدها وفاتته الرسائل أو بعضها لم يخل من فوائدها (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٢٥٠).

### اسلوب الرسائل :-

كتبت رسائل اخوان الصفا بأسلوب بسيط قريب من الافهام على ازدحامه بالكلمات الفنية والتعابير الفلسفية وتوخي اصحابه الوضوح والاختصار كما قالوا في انتقاد اسلوب من قبلهم وتبرير اسلوبهم كقولهم: " وأما أولئك الحكماء الذين كانوا يتكلمون في علم النفس قبل نزول القرآن والإنجيل والتوراة فإنهم لما بحثوا عن علم النفس بقرائح قلوبهم واستخرجوا معرفة جوهرها بنتائج عقولهم دعاهم ذلك إلى تصنيف الكتب الفلسفية التي تقدم ذكرها في أول هذه الرسالة ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ونقلها من لغة إلى لغة من لم يكن فهم معانيها ولا عرف أغراض مؤلفيها انغلق على الناظرين في تلك الكتب فهم معانيها وثقلت على الباحثين أغراض مصنفيها ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى أغراض

واضعيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الاختصار في اثنتين وخمسين رسالة أولها هذه ثم يتلوها أخواتها على الولاء كترتيب العدد تجدها إن شاء الله" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٧٧).

أ- تنوع المخاطبة:- يسوق اخوان الصفا آراءهم على درجات مختلفة من التعمق والتبسط بحسب الاشخاص الذين سيقروا هذه الرسائل من حيث المقدرة العقلية، ومن حيث اتجاههم الفلسفي، كأن يكونوا علماء او متفلسفة، ولذلك قالوا: "وأما نحن فقد بذلنا مجهودنا في هداية الضالين وإرشاد التائهين وتنبية الغافلين وخاطبنا كل قوم وصنف منهم بما هو أصلح أن نخاطبهم به في رسائلنا ولا سيما في هذه الرسالة التي بينا لهم فيها أفعال الروحانيين ونبهناهم على وجود الطبيعة وظهور أفعالها في كثير من رسائلنا بما في بعضها كفاية لمن أنصف ولا سيما بما في رسالة السياسات وبما خاطبنا به المتفلسفين الشاكين..." (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٢٤٢).

ب- الامثال والقصص والكتابة عن طريق الرمز تقتضي ان يضرب الكاتب الامثال ويورد القصص والحكايات حتى يقرب مقاصده الى الافهام من غير ان يصرح وهذا كثير في رسائلهم ثم ان هناك رسالة واضحة هي الرسالة الثانية والعشرين التي تبحث عن الحيوانات (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٢، ص ١٧٨) وهي تحتاج الى دراسة خاصة مستفيضة لأنها في رأيي تتطوي على جميع فلسفة اخوان الصفا، ولكن عن طريق ضرب الامثال وقصص الحكايات، واخون الصفا في هذه الرسالة وفي جميع الرسائل متأثرون بكتاب كليلة ودمنة، وبباب الحمامة، وباب البوم والغربان .

ج - أسلوب الرسائل من أولها إلى آخرها يجري على نسق واحد لا اختلاف فيه، فإذا راجعنا الرسائل على اختلاف موضوعاتها، مثلاً نجد أسلوب البدء والختام واحد، فتبدأ الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى الله خير " (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٥٨) وفي الأكثر " اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه " (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٥٨) وتختتم الرسالة في " ... فرعنا من الرسالة السابقة نريد أن نذكر في هذه الرسالة وفقك الله وإيانا إلى طريق السداد وهداك وإيانا وجميع إخواننا " (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٥٨) .

### المبحث الثاني منهج وموارد رسائل اخوان الصفا :-

اما عن مصادر فلسفة (إخوان الصفا) فإنهم يكشفون عنها بصورة عامة، في قولهم: " إن علومنا مأخوذة من أربعة مصادر: (أحدها) الكتب المصنفة على أسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعات، و (الثانية) الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء صلوات الله عليهم مثل التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة وما فيها من الأسرار الخفية، والثالث: الكتب الطبيعية وهي صورة واشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الافلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب ومقادير اجرامها، الرابع: الكتب الإلهية التي لا يمسه إلا المطهرون الملائكة وهي جواهر النفوس واجناسها وأنواعها وتحريكها لها وتبديرها أيها وتحكمها عليها وإظهار أفعالها بها" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١ ص ١٢)، إذأ من خلال ما سبق نستطيع حصر موارد إخوان الصفا في الجانب الفكري إلى موارد عدة:-  
أولاً:- المصدر الفلسفي: إن من إحدى ركائز إخوان الصفا في بنيتهم المعرفية هي مزج الدين بالفلسفة، فتراهم يأتون بشواهد من أقوال الفلاسفة والحكماء، بجانب الشواهد من أقوال الرسل والأنبياء، فبينما يستشهدون بأقوال أرسطوطاليس<sup>(١١)</sup> وفيثاغورس، وهم يثبتون ايضاً أقوالاً متأثرة عن المسيح والرسول -عليهما الصلاة والسلام-، في أن واحد ففلسفتهم حسبما رددوا في رسائلهم، قائمة على التوفيق، فقد جمعوا فيها بين ما لذلك اخذت الفلسفة اليونانية المساحة الأكبر عند إخوان الصفا، لهذا فهم يعرفون الفيلسوف على أنه الحكيم، وأن الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة البشرية. ولا يخفى علينا ان منهج التوفيق بين الدين والفلسفة (مصطفى، ب.ت، ص ٢٠) هو منهج الكثير من الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وغيرهم، ولكن إخوان الصفا ولكثرة إقحامهم الفلسفة في الدين بلغوا أقصى غايات هذه المدرسة. كما لا يمكننا اغفال أن الغرب المسيحي كان يشهد قيام عملية مشابهة من التوفيق بين الدين والفلسفة على يد القديس أوغسطين، الذي يعد من أبرز الأفلاطونيين المحدثين في الفكر المسيحي، وبسبب مؤلفاته تحولت الفلسفة إلى مصادر علم اللاهوت (بولس، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٧٤) ويمكن تشبيه تأثيره بالتأثير الذي آداه الفيلسوف الكندي وإخوان الصفا في الثقافة الإسلامية. فلقد تأثر إخوان الصفا بالفلسفة اليونانية، ووضعوا فيثاغورس وافلاطون وأرسطو في درجة تعادل درجة الانبياء واستشهدوا بأقوالهم في سياق واحد مع اقوال عيسى المسيح والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما تأثروا بالفلسفة الافلاطونية الحديثة<sup>(١٢)</sup>.

ثانياً:- المصدر الإسلامي: يستشهد إخوان الصفا في رسائلهم في كثير من المواقع بالآيات القرآنية وقال إبراهيم عليه السلام " فمن تبعني فإنه مني " (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٥٢) وقال عز وجل لنوح عليه السلام حيث قال " إن أبنني من أهلي " (الرسائل، ١٩٧٥، ج ٤،

ص ٥٢) قال " إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٤، ص٥٢) والأحاديث النبوية اذ يستدلون فيها على صحة النظر الفلسفي ويزاوجون بينها وبين نصوص، فيذكرون في فضل أنواع مواهب الله "، كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي عليه السلام " أنا وأنت أبوا هذه الأمة " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٤، ص٥٢)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " المؤمن أخو المؤمن من ابني وامه " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٤، ص٥٢) ، وفي حديث اخر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه في خطبة طويلة: أنا واقف لكم على الصراط وإنكم ستردون على الحوض غداً فأقربكم مني منزلاً يوم القيامة من خرج من الدنيا على هيئة ما تركته، ألا لا تغيروا بعدي ... (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٣٨) ، وبهذا المعنى قال المسيح عليه : السلام ، للحواريين : " جئت من عند أبي وأبيكم " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٤، ص٥٣) وفي حديث اخر يذكره اخوان الصفا في رسائلهم للمسيح - عليه السلام - للحواريين في وصية له: " إذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمينه عرش ربي، وأنا معكم حيثما ذهبتم، فلا تخافوني حتى تكونوا معي في ملكوت السماء غداً " (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٣٨) ، من خلال النص السابق نرى كيف يستشهد إخوان الصفا بالقرآن والحديث وحتى عند الاستشهاد بالقرآن يحاولون ذكر الآيات التي جاءت على لسان الانبياء وذلك للتقرب إلى جميع الديانات ومن خلال القرآن الكريم.

وهذا نص آخر يبين بوضوح استدلال إخوان الصفا بأقوال الفلاسفة وهذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وإلا فالأمثلة كثيرة . يقول إخوان الصفا في باب " وقال فيثاغورس في الوصية الذهبية : إذا فعلت ما قلت لك ياديوجانس ، وفارقت هذا البدن حتى تصير نحلاً في الجو، فتكون حينئذ سائحاً غير عائد إلى الانسانية ولا قابل للموت، (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٣٨) ، فمن خلال هذه النصوص يرى الباحث أن إخوان الصفا بالرغم من استدلالهم بالقرآن والحديث النبوي إلا أنهم يجعلونهما في صف واحد ان لم يكونا متأخرين عن باقي المصادر في الاستشهاد من كتب الديانات والفلسفات.

ثالثاً :- اعتمد اخوان الصفا في رسائلهم على ايراد الابيات الشعرية من خلال رسائلهم في ذكر بعض الابيات الشعرية التي يوضحون فيها انها كانت سببا في اثاره الفتنة والحرب بين قبيلتين فنذكروا قائلاً : " ومثل قول البسوس بنت منقذ :

لعمري لو أصبحت في دار منقذ      لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي  
ولكنني أصبجي في دار غربة      متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي  
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل      فإنك في قوم عن الجار أموات

فإن هذه الأبيات يقال إنها كانت سبباً لإثارة أقوام إلى الحرب والقتال بين قبيلتين من قبائل العرب سنين متواترة" . (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٨٤).

## منهج اخوان الصفا في رسائلهم

### ١- الرمزية في الرسائل:

تحتوي رسائل إخوان الصفاء على كثير من القصص، ذات المغزى الأخلاقي والنقد السياسي، وترد أغلب هذه القصص على لسان الحيوانات : " وجعلنا بيان ذلك على أسنة الحيوانات ليكون أبلغ في المواعظ وأبين في الخطاب وأعجب في الحكايات وأطرف في المسامح وأطرف المنافع وأعوص في الأفكار وأحسن في الاعتبار " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٢، ص١٧٩)، فهذا النوع من الأسلوب من أصلح الأساليب في مخاطبة الجميع، بحيث يفهم منه كل حسب مستواه المعرفي. فمنهج الرسائل يقول إخوان الصفا عن رسائلهم: " ... عملنا هذه الرسائل وأوجدنا القول فيها شبه المدخل والمقدمات لكيما يقرب على المتعلمين فهمها ويسهل على المبتدئين النظر فيها ... " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٢، ص٢٠) كما يقولون في رسالتهم الأخيرة : " إننا نحب لإخواننا ما يكون به صلاح شأنهم ولما كان ذلك أكثر أغراضنا منهم، بسطنا لهم هذا الكتاب، وأوردنا فيه معرفة مبادئ الأعمال، والصنائع العلمية، والعملية، بحسب ما قدرنا عليه بتوفيق الله، والذي حملنا على ذلك هو أننا لم نتقصر على علم واحد، وصناعة واحدة، لأننا علمنا اختلاف طبائع الناس وجواهرهم، وما يشاق كل واحد منهم اليه بما يوافق طبيعته... فجعلنا في رسائلنا هذه من مبادئ الصنائع والمعارف والعلوم ما يكون معيناً للمبتدئ، ورياضة للمتعلم " (الرسائل، ١٩٧٥، ج٤، ص٣٩٤). فإذا ما قارنا بين ما كتبه الإخوان في موضوع فلسفي وبين ما كتبه مثلاً، الفارابي أو ابن سينا نجد تمايزاً شاسعاً بين عرضين، هما عرض إخوان الصفاء لذلك الموضوع وعرض الفارابي أو ابن سينا، فالأول عرض خفيف، سلس، لا يدخل عمق الموضوع بدءاً بل يربطه بمواضيع أخرى، معتمداً على التشبيهات المادية والأمثلة الملموسة، حتى يسهل على القارئ فهمه، واما العرض الثاني يعتمد على المصطلحات وبيجاز يخاطب المتخصصين في الفلسفة. فقد كان الإخوان بصدد نشر ثقافة عامة موجهة، ولم يكونوا مسبقين بذلك، ولم يكن إعداد برنامج لنشر

وتحقيق هذا النوع من الثقافة بالأمر اليسير، كما وجدوا الكتب التي تتناول آراء الفلاسفة وشرح أفكارهم مغلقة، فيجد الباحث والمتخصص صعوبة في فهمها، لذلك يقول إخوان الصفاء في رسالتهم الأولى: " إن الحكماء لما طولوا الخطب في كتبهم، ونقلها من لغة إلى لغة من لم يكن فهم معانيها، ولا عرف أغراض مؤلفيها... انغلق على الناظرين في تلك الكتب فهم معانيها وتقلت على الباحثين أغراض مصنفها، ونحن قد أخذنا لب معانيها، وأقصى أغراض واضعيها، وأوردناها بأوجز ما يمكن من الاختصار في اثنتين وخمسين رسالة" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٧٧)، فمادة الرسائل خلاصات وتطبيقات، وليست نظرات عميقة في العلم والفلسفة، فقد كتب أكثرها للذين يريدون تفهم مذهب هذه الجماعة بطريقة سهلة، فهي أشبه - الرسائل - بموسوعة تبسط فيها المسائل الفلسفية الأولية بأسلوب يوافق عقلية العامة، حتى لا ينفروا من الفلسفة.

### ٢- الالفاظ والعبارات المستخدم في رسائلهم:-

استخدم اخوان الصفا عدداً من العبارات أثناء عرضهم للمادة العلمية، كقولهم (كما تقدم ذكرها) في كلامهم عن العدد اذ قالوا: "...وأعلم يا أخي بأن مراتب العدد عند أكثر الأمم على أربع مراتب كما تقدم ذكرها..." (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٥٤)، ثم بعد ذلك يوضحون في رسائلهم بعد نهاية الرسالة التي تخص الكلام عن العدد باستخدام مصطلح (تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين - وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً) ليوضحون لقارئه بانتهاء من هذه الرسالة التي تخص العدد، عند انتقالهم الى الرسالة الثانية يوضحون انهم انتقلوا الى الرسالة الثانية اذ قالوا ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أم ما يشركون اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من رسالة العدد في الارثماتيقي وبيننا من خواص العدد قدر الكفاية والجهد وانتقلنا من تلك الرسالة إلى هذه الرسالة التي هي الثانية من رسائل الرياضيات..." (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ٧٨)، وكذلك الحال ينطبق على جميع رسائلهم ونكتفي بذكر نموذج واحد للدلالة على سيرهم على نهج واحد في محتوى رسائلهم من خلال الانتهاء من موضوع والانتقال الى موضوع اخر ينبهون القارئ بذلك الامر اذ قالوا: "... تمت رسالة الجومطريا ويتلوها رسالة في مدخل علم النجوم وهي الثالثة من القسم الأول من الأربعة الأقسام" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ١١٣)، ونجدهم في بعض الاحيان يستخدمون الامثلة من اجل تثبيت مصداقيتهم في الكلام واقناع القارئ بصدق حديثهم للدلالة على مصداقيتهم اذ قالوا ما نصه: "ولكن نذكر منها في هذا الفصل مثلاً واحداً ليكون دلالة على صدق ما قلنا . فنقول : إن من خاصية هذا الشكل المتسع ومنفعته تسهيل الولادة إذا كتب على خرفين لم يصيبهما الماء وعلقتها على المرأة التي ضربها الطلق وإن اتفق أن يكون القمر في التاسع ومتصلاً برب التاسع سهل الولادة أو برب بيته من التاسع وما شاكل ذلك من المتسع" (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ١١٢). وفي نفس الصدد نجد في اغلب رسائل اخوان الصفا عند الدخول في موضوع جديد يعملون على تقديم مقدمة بسيطة عن الموضوع المراد شرحه من اجل تسهيل المعلومة للقارئ ويكون كمدخل للدخول لهذا العنوان كقولهم: "...المدخل كما يسهل الطريق على المتعلمين ويقرب تناوله للمبتدئين فنقول : أصل علم النجوم هو معرفة ثلاثة أشياء وهي الكوكب والأفلاك والبروج. فالكواكب أجسام كريات مستديرات مضيئات وهي ألف وتسعة وعشرون كوكباً كبيراً التي أدركت بالرصد منها سبعة يقال لها السيارة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر والباقية يقال لها ثابتة ولكل كوكب من السبعة السيارة فلك يخص .." (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ١١٤)، وفي رواية اخرى ايضا ذكروا ما اوضحنا انفا عن اعطاء مقدمة وايضاح بسيطة عن الموضوع المتناول ذكره اذ قالوا: "... وقد ذكرنا في هذه الرسالة طرفاً من كيفية صورة الأرض وصفه الربع المسكون منها وما فيه من الأقاليم السبعة ومن البحار والجبال والبراري والأنهار والمدن ليكون طريفاً للمبتدئين (الرسائل، ١٩٧٥، ج ١، ص ١٥٩). ويلاحظ من خلال قراءة هذه الرسائل التي تخص وقوف الارض في وسط الهواء فانهم يعطون لنا اربعة اقوال في سبب وقوفها، والشئ الملفت للانتباه في نهاية هذه الاقوال يعطون رأيهم في أي الآراء افضل واحسن من بين هذه الاقوال باستخدام عبارة (وهذا القول أشبه الأقاويل بالحق) وللايضاح اكثر عن هذا الامر ذكروا ما نصه: " وأما سبب وقوف الأرض في وسط الهواء ففيه أربعة أقاويل منها ما قيل إن سبب وقوفها هو جذب القلب لها ممن جميع جهاتها بالسوية فوجب لها الوقوف في الوسط لما تساوت قوة الجذب من جميع الجهات ومنها ما قيل إنه الدفع بمثل ذلك فوجب لها الوقوف في الوسط لما تساوت قوة الدفع من جميع الجهات ومنها ما قيل أن سبب وقوفها في الوسط هو جذب المركز لجميع أجزائها من جميع الجهات إلى الوسط لأنه لما كان مركز الأرض مركز الفلك أيضاً وهو مغناطيس الأثقال يعني مركز الأرض وأجزاء الأرض لما كانت كلها ثقيلة انجذبت إلى المركز وسبق جزء واحد وحصل في المركز ووقف باقي الأجزاء حولها يعني حول النقط يطلب كل جزء منها المركز فصارت الأرض بجميع أجزائها كرة واحدة بذلك السبب . ولما كانت أجزاء الماء أخف من أجزاء الأرض وقف الماء فوق الأرض . ولما كانت

أجزاء الهواء أخف من أجزاء الماء صار الهواء فوق الماء والنار لما كانت أجزاؤها أخف من أجزاء الهواء صارت في العلو مما يلي فلك القمر . والوجه الرابع ما قبل في سبب وقوف الأرض في وسط الهواء هو خصوصية الموضع اللائق بها وذلك أن الباري - عز وجل - جعل لكل جسم من الأجسام الكليات يعني النار والهواء والماء والأرض موضعاً مخصوصاً هو أليق المواضع به وهكذا القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل جعل لكل واحد منها موضعاً مخصوصاً في فلكه هو ثابت فيه والفلك يديره معه . وهذا القول أشبه الأقاويل بالحق... (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٦٢). ولا يفوتنا ان نوضح ان اخوان الصفا في بعض الاحيان يستخدمون عبارة (وهذا مثال ذلك والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ) عندما يكون عندهم شك في المعلومة التي تم ذكرها في رسائلهم كقولهم : " الأقاليم هي سبعة أقسام خطت في الربع المسكون من الأرض كل إقليم منها كأنه بساط مفروش قد مد طوله من المشرق إلى المغرب وعرضه من الجنوب إلى الشمال وهي مختلفة الطول والعرض فأطولها وأعرضها الإقليم الأول وذلك أن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو مئة وخمسين فرسخاً وأقصروها طولاً وعرضاً الإقليم السابع وذلك أن طوله من المشرق إلى المغرب نحو ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب نحو من سبعين فرسخاً . وأما سائر الأقاليم ففيما بينهما من الطول والعرض وهذا مثال ذلك والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب... " (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٦٣).

### ٣- الوصف الجغرافي :-

كانوا دقيقين في الوصف الجغرافي فيما يخص في الربع المسكون من حيث عدد البحار التي ذكرها والجزر التي وصفها من حيث الطول والجمال وال عمران اذ قالوا : " صفة الربع المسكون من الأرض وفي هذا الربع الشمالي المسكون من الأرض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة جزائر تكسير كل جزيرة منها عشرون فرسخاً إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ . فمنها بحر الروم وفيه نحو خمسين جزيرة ومنها بحر الصقلية وفيه نحو ثلاثين جزيرة ومنها بحر جرجان وفيه خمس جزائر ومنها بحر القلزم وفيه نحو من خمس عشر جزيرة ومنها بحر فارس وفيه سبع جزائر ومنها بحر الهند وفيه نحو من ألف جزيرة ومنها بحر الصين وفيه نحو من مائتي جزيرة . وفي هذا الربع أيضاً خمس عشرة بحيرة صغاراً تكسير كل واحدة من عشرين فرسخاً إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ منها مالح ومنها عذب . وأما بحر الغرب وبحر يأجوج ومأجوج وبحر الزنج وبحر الزانج والبحر الأخضر والبحر المحيط فخارج عن هذا الربع المسكون وكل واحد من هذه الأبحر شعبة وخليج من البحر المحيط وكلها مالح . وفي هذا الربع أيضاً مقدار مئتي جبل طوال منها ما طوله من عشرين فرسخاً إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ مختلف الألوان ومنها ما يمتد طوله من المشرق إلى المغرب أو من الجنوب إلى الشمال ومنها ما يتكعب ما بين المشرق والمغرب ومنها ما يتكعب ما بين المشرق والشمال ومنها ما هو بين العمران والمدن والقرى ومنها ما هو في البراري والقفار ومنها ما هو في الجزائر والبحار . وفي هذا الربع أيضاً مقدار مئتين وأربعين نهراً طول كل نهر منها من عشرين فرسخاً... " ، (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٦٣)، وايضا من الاشياء التي شخصناها على منهج اخوان الصفا هو ذكرهم للشخصيات والاسماء المهم سواء كانوا انبياء او ملوك في رسائلهم : " إن هذه الأقاليم السبعة ليست هي أقساماً طبيعية وكأنها خطوط وهمية وضعتها الملوك الأولون الذين طافوا الربع المسكون من الأرض لتعلم حدود البلدان والممالك والمسالك مثل أفريزون النبطي وتبع الحميري وسليمان بن داود الإسرائيلي - عليهما السلام - والإسكندر اليوناني وأردشير بن بابك الفارسي ليعلموا بها حدود البلدان والمسالك والممالك... " (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٦٤).

### ٤- الاختصار :-

ويبدو ان اخوان الصفا مالوا في مصنفهم إلى الاختصار في ذكر بعض الاحداث فقالوا: " وسبب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعضوبة المياه وملوحتها ولك هذا الاختلاف بحسب طوالع البروج ودرجاتها على آفاق تلك البلاد ... وهذه جملة يطول شرحه " (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٧)، وفي موقع آخر من الرسائل يذكرون يستخدمون عبارة (ويطول شرحها): "... الرياح ليست شيئاً سوى تموج الهواء شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وفاقاً وتحتاً فإذا صدم في حركته وجريانه الجبال والحيطان والأشجار والنبات وتخللها حدث من ذلك فنون الأصوات والدوي والطنين مختلفة الأنواع كل ذلك بحسب كبر الأجسام المصدومة وصغرها وأشكالها وتجويفها ويطول شرحها " (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٩١)، كما استعمل اخوان الصفا عدة عبارات منها عبارة (فقد تبين بما ذكرنا) فقالوا : " فقد تبين بما ذكرنا أن علة عظم الصوت إنما هي بحسب عظم الأجسام المصوتة وشدة صدمها وكثرة تموج الهواء في الجهات عنها فنقول: إن أعظم الأصوات صوت الرعد وقد بينا علة حدوثه في رسالة الآثار العلوية ولكن نذكر هنا ما لا بد منه . أما علة حدوثه فهو أن البخارين الصاعدين في الجو من البحار والبراري إذا ارتقعا في الهواء... " (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٩٠) ومن العبارات التي وردت في رسائلهم عبارة (كما سنبين ذلك في موضعه) اذ ذكروا

ما نصه: " وإن اختلاف تلك الأصوات يكون بحسب شدة يبسها وصلابتها وكمية مقاديرها من الكبير والصغر والطول والقصر والسعة والضيق وفنون أشكالها من التجويف والتقيب والتقب وقوة الصدمة وما يعرض فيها من الأسباب كما سنبين ذلك في موضعه ". (الرسائل، ١٩٧٥، ج١، ص١٩٢).

#### ٥- الرموز والإشارات والقصص الرمزية:-

اذ نجد أثر ذلك واضحا في قصتهم التي مثلوا فيها محاكمة طويلة بين الانسان والحيوان امام ملك الجن واطالوا في مرافعة الخصمين من الانسان والحيوان ليبثوا في تلك المرافعة افكارهم الفلسفية التي ما كان لهم ان يصرحوا بها لما فيها من ثورة على المجتمع وعلى الأديان الموروثة لذلك ألبسوها ثوبا رمزيا وقالوا على ألسنة الحيوان ما لو خرج من فم انسان لأثار حوله الشكوك (الرسائل، ١٩٧٥، ج٢، ص١٧٨) وهذه اغلب الملامح الواضحة في منهاج اخوان الصفا الواردة في رسائلهم اذ لم يوجد في منهجهم أي تكلف او غموض وإنما طرحوا بالأسلوب السهل الواضح وخلوه من الألفاظ الغريبة او الصعبة .

#### الذاتية

١- موضوع إخوان الصفاء و خلان الوفاء موضوع إشكال في الفكر العربي الإسلامي سواءً تعلق الأمر بحقيقتهم التاريخية الغامضة، فالمصادر القديمة أهملتهم و لم تعرهم اهتماما ولولا الإشارات الواردة في كتابين لأبي حيان التوحيدي ما كنا نعرف عنهم شيئا، و مع ذلك تنافس القدماء و المحدثون في طرح الفرضيات والأسئلة و الإشكالات المتعلقة بهوية هؤلاء الأشخاص و بكل ما يتعلق بوجودهم التاريخي، فكل شيء مبهم حول النشأة، الاسم، الأشخاص الذين كتبوا الرسائل و كذلك مذهبهم و غاياتهم و أهدافهم السياسية و الاجتماعية.

٢- تأثر اخوان الصفا بالمصدر الإسلامي وبالفلسفة اليونان و ذلك من خلال ذكرهم في رسائلهم وبعتمادهم على كتبهم والكتب الطبيعية والكتب الالهية .

٣- يعلل إخوان الصفاء انشاء هذه الرسائل على اعتبار ان الشريعة قد دُنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، فمتى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال.

٤- بسبب غموض هذه حركة اخوان الصفا والعمل في كتمان سرهم ادت تعددت الآراء حول انتمائهم ومرجعياتهم .

٥- إن الرسائل، كما هو واضح من تنوع أساليبها وتعدد مدارسها واختلاف مصادرها، لم تُكتب في وقت واحد، وقد ساهم في وضعها وتأليفها أكثر من الأسماء الخمسة التي أتى التوحيدي إلى ذكرها.

٦- يذكر اخوان الصفا في الجزء الاول من رسائلهم ان عدد هذه الرسائل اثنتان وخمسون رسالة، اما أسلوب الرسائل من أولها إلى آخرها يجري على نسق واحد لا اختلاف فيه، فإذا راجعنا الرسائل على اختلاف موضوعاتها، مثلا نجد أسلوب البدء والختام واحد، فتبدأ الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى الله خير .

٧- توصل الباحث إن منهج إخوان الصفاء في الرسالة الجامعة يختلف عن منهجهم في بقية الرسائل، فالرسالة الجامعة ألفت لمن تتقفوا بالرسائل أو بكتب مماثلة، أي أخذوا قسطا وافرا من تلك المعارف السائدة في عصرهم وارتفعوا إلى مرتبة أعلى من المرتبة الأولى التي خاطبت الرسائل أصحابها. لذلك فالرسالة الجامعة تعتمد على البراهين والحجج العقلية في تناولها القضايا المطروحة للبحث

٨- استخدموا الرموز الامثال والقصص في كتابة رسائلهم ويوردون القصص والحكايات حتى يقربون مقاصده الى الافهام من غير ان يصرح ما المقصود في ذلك وتوجد الكثير منها في رسائلهم ثم ان هناك رسالة واضحة هي الرسالة الثانية والعشرين التي تبحث عن الحيوانات وهي تحتاج الى دراسة خاصة مستفيضة .

#### قائمة المصادر والمراجع :-

#### اولا:- المصادر الاولية

- ١- ابن الاثير ، ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ ، تحقيق:- نخبة من العلماء ، دار صادر (بيروت ، ١٩٦٥ م ) .
- ٢- اخوان الصفا وخلان الوفا ( ق٤هـ / ١٠م)، اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٧٥). البيهقي، ابو الحسن علي (٥٦٥هـ/١١٦٩م)، تنمة صون الحكمة، (لاهور، ١٣٥١) .

- ٣- التوحيدى، ابو حيان علي بن محمد (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) الامتاع والمؤانسة، تصحيح: - احمد امين واحمد الزين ، ط٢ ، (بيروت، د
- ٤- ابن جلجل، سليمان بن حسان الاندلسي، (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)، طبقات الاطباء والحكماء تحقيق: - فؤاد سيد/ مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت، ١٩٨٥).
- ٥- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م )، معجم الادياء أرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تحقيق: - احسان عباس ، ط١، دار الغريب الاسلامي (بيروت، ١٩٩٣)
- ٦- الخوارزمي، ابو الفضل قاسم بن حسين (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، شروح سقط الزند، تحقيق: - مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة ، ١٩٨٦)
- ٧- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م )، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: - علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت، د.ت).
- ٨- السجستاني، ابو سليمان بن طاهر بن بهرام المنطقي (٣٩١هـ / ١٠٠٠م)، منتخب صوان الحكمة، تحقيق: - عبد الرحمن بدوي (طهران،
- ٩- الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: - احمد الارناؤوط ، وتركي مصطفى، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠)
- ١٠- ابن العبري، ابو الفرج بن اهرن (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق: - انطوان ماكاني ، دار الرائد اللبناني (بيروت، ١٩٩٤)
- ١١- القفطي، ابو الحسن علي بن يوسف (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، إخبار العلماء باخبار الحكماء ، تصحيح: - محمد امين الخانجي ، (القاهرة، ١٩٠٨)
- ١٢- ابن النديم، محمد بن يعقوب بن اسحاق (٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، الفهرست، شرحه: - يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٦).

### ثانياً:- المراجع الثانوية:-

- ١- ابراهيم مذكور، درس في الفلسفة الاسلامية (منهج وتطبيق)، ( القاهرة، ١٩٦٨).
- ٢- احمد، امين، ظهر الاسلام ، ط٣، (القاهرة، ١٩٦٢) .
- ٣- اسماعيل، محمود، نهاية اسطورة (المنصورة ١٩٩٦).
- ٤- اقبال، محمد ، تطور الفكر الفلسفي في ايران اسهام في تاريخ الفلسفة الاسلامية، ترجمة حسن محمد الشافعي ومحمد جمال الدين، ط١، (القاهرة، ١٩٨٩).
- ٥- البعلي ، فؤاد ، فلسفة اخوان الصفا الاجتماعية والاخلاقية، (بغداد ، ١٩٥٨) .
- ٦- البهي، محمد ، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، مكتبة وهبة، ط١ (القاهرة ، ١٩٨٩ م).
- ٧- بولس باسيم، تاريخ الكنيسة المفصل، ط١، ترجمة: أنطوان الغزال، صبحي اليسوعي، دار المشرق (بيروت: ، ٢٠٠٢ م) .
- ٨- حجاب، محمد فريد، الفلسفة عند اخوان الصفا، تقديم: - عز الدين فودة، (القاهرة ، ١٩٨٢) .
- ٩- الخطيب، محمد احمد، الحركات الباطنية في العالم الاسلامي (عقائدها وحكم الاسلام فيها)، ط١، (عمان ، ١٩٨٤) .
- ١٠- الدسوقي ، عمر، إخوان الصفا ، دار احياء الكتب العربية، (مصر ، ١٩٤٧).
- ١١- السواح، فراس، طريق اخوان الصفا المدخل الى الغنوصية الاسلامية ، ط١، (دمشق، ٢٠٠٨).
- ١٢- الطيباوي، عبد اللطيف، جماعة اخوان الصفا، ادارة المعارف، (القدس، ١٩٩١).
- ١٣- العبد، عبد اللطيف محمد، الانسان في فكر اخوان الصفا، (القاهرة، ١٩٧٦) .
- ١٤- عبد الرزاق، مصطفى، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة، ب.ط).
- ١٥- العواء، عادل، حقيقة اخوان الصفا، ط١، (دمشق، ١٩٩٣) .
- ١٦- غلاب، محمد ، إخوان الصفا، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨).
- ١٧- الفاخوري ، حنا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل الجديد ، (بيروت ، ١٩٩٣) .
- ١٨- فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون، (بيروت ، ١٩٧٩).

١٩- مصطفى غالب، في رحاب اخوان الصفا وخلان الوفا، منشورات دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٨٩).

٢٠- فؤاد معصوم، اخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، (١٩٨٨)

ثالثاً:- الرسائل الجامعية:-

١- سهيل نجد دهش، الحركة الاسماعيلية في بلاد الشام للفترة من (١٥٠هـ/ ٧٧٢م - ٦٧٢هـ/ ١٢٧٨)، رسالة ماجستير غير منشور جامعة بغداد ، كلية التربية ، (بغداد ، ٢٠٠٦).

٢- طاهر ، علي هادي ، المعرفة والتربية والتعليم عند اخوان الصفا، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، (٢٠٠٢) .

٣- البياتي، نعمان عبد الرزاق، العلوم الطبيعية واثرها في رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا دراسة تاريخية مقارنة، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة المستنصرية ، (بغداد ، ٢٠٢٠) .

## هوامش البحث

١ - ابو عبد الله الحسين بن احمد بن سعدان كان وزيراً لمصمّم الدولة بن عضد الدولة البويهّي والذي استوزر عندما استلم السلطة عضد الدولة بعد وفاة ابيه سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) وسجنه بعد ايقاع ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف به ثم قتله سنة (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) . (التوحيدي، ب ، ت ، ج ، ١، المقدمة .)

٢ - هو ابو كالجار المرزبان احد سلاطين بني بويه تولى حكم العراق وفارس وكرمان بعد وفاة ابيه عضد الدولة في زمن الخليفة العباسي الطائع لله (٣٦٣هـ-٣٨١هـ) حيث استمر حكم مصمّم الدولة لاربعة سنوات لكنه فشل في ادرّة شؤون الدولة وتميزت فترة حكمه بالثورات والحروب الاهلية . (ابن الاثير ، ١٩٨٧ ، ج ٧ ، ص ١٢٣).

٣ - زيد بن رفاعة بن مسعود ابو الخير البغدادي احد العلماء والادباء الفضلاء ، درس على يد ابن دريد وابن الانباري وسمع من ابي بكر الشبلي وروى عن ابن عباس، وعاصر صاحب بن عباد وقد اعتقد بأراء الفلاسفة وهو احد اخوان الصفا وخلان الوفا. (الحموي، ١٩٩٣ ج٣، ص ١٣٣٦؛ الذهبي، ب ، ت ، ج ، ٢، ص ١٠٣).

٤- سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي المعروف بالحكيم والمكرم من قبل عضد الدول البويهّي، وله العديد من المؤلفات منه (صوان الحكمة) (شرح كتاب ارسطوطاليس)، لم يذكر لنا ابن نديم ولادته ووفاته أي انه ما زال حيا حتى سنة (٣٧٧هـ) تصنيف ابن نديم كتابه . (ابن النديم ، ١٩٩٦ ، ص ٤٢٤-١٢٥٥) .

٥- سليمان بن معشر البستي:- اختلفت المصادر في تسميته فقد ذكر ابو سليمان محمد بن معشر البيهقي ويعرف بالمقدسي، عند ابو حيان التوحيدي الا ان الشهرزوري ذكره بطريقة اخرى وجعل اسمه محمد بن معشر البستي وكنيته ابو سليمان، بينما البيهقي وياقوت الحموي ذكره (مسعر) اما الشهرستاني فقد وضعه بين فلاسفة الاسلام المتأخرين زمنيا كأمثال الكندي ولفارابي الا انه لا يذكر اسمه كاملا بل يسميه ابا سليمان محمد المقدسي وبعد تصفح الكثير من الكتب لم نجد فيلسوفا او عالما اخر بهذا الاسم ، لذا فالأرجح انه الشخص المعني . (التوحيد ، د . ت ، ج ، ٢، ص ٤؛ البيهقي، ١٣٥١ ، ص ٢١؛ الحموي، ١٩٩٣ ، ج ١، ص ١٣٣٥).

٦ - هذه اشارة ودلالة مهمة ان زيد بن رفاعة كان حيا في الوقت الذي جرى به الحديث بين الوزير ابن سعدان وابو حيان التوحيدي وهي سنوات توليه الوزارة والتي هي بين سنة (٣٧٣ - ٣٧٥هـ/ ٩٨٣-٩٨٥م) .

٧ - ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني :- اختلف المؤرخون باسم والده ونسبه ، فقد ورد في بعض النصوص الريحاني بدل الزنجاني واطلق البعض لآخر على اسم والده زهرون بدلا من هارون ، الا ان الارجح لدى المؤرخون هو كما ورد اعلاه ، كان قاضيا من خلال النص الوارد ادناه في كلام التوحيدي : "حدثني ابو الحسن علي بن هارون القاض، صاحب المذهب..." الا اننا لم نجد له ذكرا في كتب تراجم القضاة التي اطلعنا عليها ، واما قوله " صاحب المذهب" فالظاهر يعني انه من مذهب اخوان الصفا لانه سبق ان تكلم عنهم في بداية كتابه الامتاع والموانسة . (البيهقي، ١٣٥١ ، ص ٢١؛ ابن حجر العسقلاني، ١٩١١ ، ج ١، ص ٤١٦؛ الخوارزمي، ١٩٨٦ ، ج ٤، ص ١٦٨١)

٨ - ابو احمد المهرجاني (ت ٤٠٢هـ/ ١٠١١م) :- اختلفت المصادر التاريخية على نسبة ابو احمد فالبعض منه جعلته المهرجاني نسبة الى قرية مهرجان ، اما ابن حجر فنسبه بالمهرجوني، واما الشهرزوري والبيهقي وياقوت الحموي فقد نسبوه النهرجوري، ويبدو ان هذه التسمية

هي الارجح لاتفاق معظم المصادر عليها. ابن حجر، ١٩١١، ج١، ص٤١٦؛ البيهقي، ١٣٥١، ص٣٠٣؛ الحموي، ١٩٩٣، ج١، ص١٣٣٥).

<sup>٩</sup> - العوقي :- لم تذكر المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها اسمه الكامل على وجه اليقين ، وانما اقتصرنا على ذكر النسبة التي اشتهر لها عوق وهي اسم قبيلة وايضا اسم محلة بالبصرة كانت تسكنها تلك القبلة، كان حكيمًا له رسالة في تفسير اقسام الموجودات وتصانيف لطيفة . ( البيهقي، ١٣٥١، ص٢٦ ) .

<sup>١٠</sup> - المسعة :- فرقة من الغلاة قالوا ان النطقاء بالشرعية سبعة وهم ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدي سابع النطقاء وبين كل اثنين من النطقاء سبعة ائمة ولا بد في كل شريعة من سبعة يقتدي بهم . سهيل، ٢٠٠٦، ص٣٠.

<sup>١١</sup> - ارسطوطاليس بن نبقوماخس الجراسني الفيلسوف والطبيب صاحب كتاب المنطق وهو تلميذ افلاطون ولارسطو عدة كتب منه كتاب الحيوان ، كتاب السياسة المدنية، سمع الكيان، والعالم ، السماء ، ما بعد الطبيعة- ، السياسة في تدبير الرياسة المعروف بـ( سر الاسرار)، وقد توفي في سنة ٣٢٢ق.م) . (ابن النديم ، ١٩٩٦، ص ٤٠٢؛ ابن جلجل، ١٩٨٥، ص٢٥-٣٠) .

<sup>١٢</sup> - الأفلاطونية الحديثة هي: مزيج ملفق من فلسفات فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو، وأضيف إليه شيء من الفلسفة الهندية. ( فروخ، ١٩٧٩، ص ١٣٠ ) .